

على ازدواج البؤرة في الشخصية التي صورها وفي نفسه . فهو مثل رتشرسن يحب الكتابة في مواضيع معينة ، وربما ذهب إلى أبعد مما تقتضيه حبكة روايته ، كواقعة الفجور بإيمي خادمة روكسانا في حضرة سيدتها . وقد حاول أن يتستر أمام قرائه بادعاء أن روكسانا : كثيراً ما تعود على أفعالها بالشجب والإدانة . وما أكثر ما قرّعت نفسها بأقسى العبارات وأهابت بنا إلى التفكير السوي في مثل هذه الحالات .

ولكن المرء يظل غير مقتنع تماماً بأن ديفو قام بوصف هذه الجرائم ، وبهذا التفصيل الدقيق ، مدفوعاً بروح التضحية من أجل التنوير الروحي لإخوانه من بني البشر . ففي «مول فلاندرز» يقوم بنفس الخداع فيما يتعلق بشخصيته الرئيسية ، فيقول إن مول امرأة تائبة كما يتبين من طريقة سردها :

إنها لا تذكر سوءاً إلا مشفوعاً بذمه وإدانتته ، ولا شيئاً من الفضيلة والعدل إلا وتتبعه بما يستحقه من الشناء .

ومع ذلك فإنه يقر في موضع آخر من المقدمة نفسها بأنه كان عليه أن يصلح القصة ، بحكم كونه «المراجع» لمذكرات مول ، لان النسخة التي وصلته بادية ذي بدء كتبت بلغة أقرب ما تكون إلى لغة امرأة لم تزل في نيوغيت (Newgate) منها إلى لغة امرأة تائبة ذليلة كما تتظاهر فيما بعد .

لا بد من أعمال مبدأ الاختيار بكل صرامة في الرواية بضمير المتكلم التي توهم بأنها كتبت بعد مدة طويلة من وقوع الأحداث التي تقصها .